التزاحم المعرفي وحتمية الانتقاء -

إعداد

أ.د/ خالد محمود محمد عرفان

عميد كلية التربية بنين بالقاهرة- جامعة الأزهر

التزاحم المعرفي وحتمية الانتقاء ..

عصر الانفجار المعرفي؛ هكذا أطلق على العصر الذي نعيش فيه الآن ؛ حيث زادت المعلومات في مختلف العلوم وتراكمت المعرفة في جميع التخصصات، وأصبح الوقت ضيقا أمام الدارسين في جميع التخصصات لدراسة واستيعاب كل هذه المعلومات التي تتضاعف بين الحين والآخر بشكل مضطرد نتيجة لمرور السنين، وتراكم الخبرات، وكثرة البحوث والدراسات في مختلف المجالات، وكثرة عدد الباحثين ومراكز البحث نتيجة لزيادة عدد السكان على مستوى العالم، وزيادة الانفاق على البحث العلمي، والتنافس المحموم بين دول العالم في مختلف المجالات المدفوع بسباق علمي لا ينقطع، إضافة إلى ثورة المعلومات والاتصالات وظهور ما يسمي بعصر اقتصاديات المعرفة الذي زاد من قيمة المعلومات على جميع المستويات والمجالات خاصة المجال الاقتصادي.

وقد وضع هذا التزاحم المعرفي المؤسسات التعليمية في مأزق؛ فهي تريد أن تؤدي رسالتها في نقل العلم والمعرفة للدارسين بشكل كامل يراعي الشمولية والتراكم المعرفي؛ ولكنها لا تجد الوقت الكافي في العام الدراسي لتحقيق ذلك؛ وقد ترتب على ذلك تزاحم المعلومات والمعارف في مختلف العلوم مع ضيق في الوقت ، واصبح الدارسون يشكون من كثرة المعلومات وتعدد العلوم ، ويتساءلون لماذا ندرس كل هذا الكم من الموضوعات العلمية، وهذا العدد من المواد الدراسية؟ ويشعر مع مرور الوقت أنه لا يستخدم منها في حياته التعليمية والعملية إلا اليسير، ويصرخ أولياء الأمور من ذلك الازدحام وضيق الوقت وتكلفة التعليم، وقد يدفع ذلك المسئولين إلى القيام فجأة بحذف بعض الأبواب والموضوعات لضيق الوقت بشكل غير علمي وغير مدروس؛ مما يزيد الأمر تعقيدا ويزيد الطين بلة، وقد يترتب عليه بتر المعلومات وتجاهل ما بينها من روابط ونمو معرفي وتنظيم منطقي، ويشعر الطلاب حينها بالعشوائية في اختيار الموضوعات العلمية بل وفي العملية التعليمية برمتها.

إن هذه مشكلة حقيقة أمام المؤسسات التعليمية ، وأصبح لزاما عليها أن تلجا للانتقاء المعرفي من بين هذا الكم المعرفي الهائل، وهذا أمر يتطلب وضع معايير لانتقاء العلوم والموضوعات بشكل علمي مدروس، وأهم هذه المعايير:

- الحداثة: فالعلوم تتجدد في كل المجالات وإن كانت بوتيرة متفاوتة حسب العلم وطبيعته ومجاله؛ وعليه أن نختار أحدث الموضوعات العلمية عند الانتقاء حتى يكون الدارسون على دراية بآخر التطورات الحادثة في هذا العلم ، ويظهر ذلك جليا في العلوم التطبيقية التي تتغير المعلومات فيها بشكل سريع مذهل.
- الأهمية: فليست كل الموضوعات العلمية على درجة واحدة من الأهمية النظرية والتطبيقية، فعلينا ترتيب الموضوعات حسب أهميتها فنقدم الأهم على المهم؛ مما يساعد على تخفيف الأعباء الدراسية الملقاة على كاهل المؤسسات التعليمية والدارسين.
- التراكمية: ويقصد بها أن تكون كل معلومة أو موضوع علمي يبنى على موضوع علمي قبله ويمهد لما بعده بشكل تراكمي يحفظ للعلم تسلسه ونسبه المعرفي؛ فالمعلومة العلمية اذا قطع نسبها غابت دلالتها؛ ومن ثم يصعب توظيفها.
- الوظيفية: فليست كل الموضوعات والمفاهيم العلمية تكون قابلة للتوظيف نظرا لعدم مواءمتها للعصر أو نظرا لوجود معلومة أحدث توصل إليها العلم، وهذه مشكلة في كثير

من العلوم؛ حيث ندرس العديد من الموضوعات والنظريات التي تعد تاريخا للعلم ولا تمثل حاضر العلم، فيتزاحم ما هو وظيفي ومرتبط بالعصر مع ما هو تاريخي ومنفصل عن الواقع، وتجد الدارسين يصرخون لماذا ندرس هذه الموضوعات والنظريات التي عفا عليها الزمن؟!

- التخصصية: فلكل تخصص مواد علمية خاصة به وينبغي التركيز عليها ولا تأخذ من المواد العلمية الأخرى إلا ما له ارتباط بالتخصص وعلى قدر الحاجة؛ فمثلا طالب الرياضيات لماذا يدرس الكيمياء؟! واذا كانت مرتبطة بالرياضيات فلنأخذ منها ما نحتاجه فقط من موضوعات، ومن ثم تكون دراستها اكثر اقناعا للدارسين فيقبلون على دراستها لإدراكهم أهميتها لتخصصهم ولحياتهم العلمية والعملية مستقبلا.

- الفترة الزمنية: فمن المعروف أن العام الدراسي له فصوله الدراسية محددة الشهور والأسابيع وساعات الدراسة ؛ وهذا يتطلب أن يكون المحتوى العلمي مناسبا لهذه المدة المتاحة؛ وهذا يجعلنا نضع في الاعتبار اختيار بعض الموضوعات والمفاهيم العلمية في مادة ما دون البعض، لذا يعد الوقت أحد المعايير اللازم مراعاتها عند انتقاء المحتويات العلمية في العلوم المختلفة.

- أعمار الدارسين: فمن المعروف وفق البحوث والدراسات والنظريات النفسية أن المتعلم يمر بمراحل نمو معرفية ووجدانية ومهارية واجتماعية متتابعة، ولكل مرحلة خصائصها التي يجب أن تراعى في اختيار المحتوى العلمي، وعدم مراعاة ذلك يضعنا في مأزق ؛ فتجد أولياء الأمور والدارسين والمعلمين يشكون من صعوبة المحتوى العلمي أو تفاهته بالنسبة للدارسين، لذا فلزاما علينا عند الانتقاء اختيار وتوزيع المحتوى العلمي في سلسلة متتابعة تراعي التدفق المعرفي والتسلسل وفق مراحل النمو المتعاقبة .

- التعليب التقني: ويقصد به تحويل هذا الكم الهائل من المعلومات في أوعية إليكترونية يسهل تصنيفها ومعالجتها وعرضها بحيث يمكن للمتعلمين الرجوع إليها وتعلمها في أي وقت إذا احتاجوا إليها حتى لو لم يقوموا بدراستها في المؤسسات التعليمية، مما يجعل الهدف الأساس للتعليم إكساب مهارات التعلم للدارسين وليس نقل وتلقين المعلومات وحفظها واسترجاعها، ويغير النظرة إلى التقنيات كي تكون مساعدة لعمليتي التعليم والتعلم وليست بديلا عنهما.

- طبيعة العصر واحتياجات المجتمع: ويعد من أهم المعايير التي ينبغي مراعاتها في الانتقاء المعرفي؛ فلا قيمة لشيء نتعلمه لا يفيدالمجتمع والعصر ، وعلينا ربط المحتويات العلمية التي يتم انتقاؤها بطبيعة العصر واحتياجات المجتمع حتى يكون لدى الخريج القدرة على المنافسة محليا ودوليا، ونوفر للمجتمع احتياجاته من القوى البشرية المتعلمة المدربة الماهرة بعيدا عن التخمة المعرفية التي تأتي على حساب الكيف وجودة المنتج التعليمي؛ ومن أهم ما يجب مراعاته هو ارتباط هذا المحتوى بالخطط التنموية في المجتمع كرؤية مصر 2030.

- وجود فلسفة عامة موجهة للانتقاء المعرفي تساعد على وضع خطط الانتقاء واستراتيجيات التنفيذ وتنسق الجهود بين الجهات المختلفة، مع وضع آليات المتابعة والتقويم المستمر والتطوير والتحسين مع منح الصلاحيات والمحاسبية للجهات المسئولة عن ذلك.

إن التراكم المعرفي وما به من ثراء وتنوع يجعل انتقاء ما ينبغي أن نعلمه لطلابنا أمرا ضروريا وإلزاميا كي نقي أنفسنا من الكثير من السلبيات ونخفف الأعباء على الدارسين والمؤسسات التعليمية، ونجعل الدراسة الشاملة لعلم ما بجميع موضوعاته يؤجل للمرحل الدراسة المتقدمة كالدراسات العليا،إن الانتقاء المعرفي في التعليم قبل الجامعي والجامعي أيضا يجعل التعليم أكثر يسرا وواقعية، وأكثر وظيفية، ونوفر على الدولة بجميع مؤسساتنا الكثير من الوقت والجهد، ولنتذكر دائما عند وضع مناهجنا الدراسية أن الانتقاء أمر حتمي وليس اختياريا.

أ.د/ خالد محمود محمد عرفان
عميد كلية التربية بنين بالقاهرة- جامعة الأزهر